

ناجي علوش

مناقبات فومية

الكويت ١٩٥٧

في معنى التحرر العربي



منشورات منظمة الطليعة العربية في تونس

مقالاات من تراث البعث العربي

1

لكل ثورة منطلق ...

ولكل منطلق سمات ومميزات تكتسب منها الثورة طابعها وملامحها وكل منطلق ، هو المجال الثوري للعقيدة، والاساس الفكري للثورة ، الاساس الذي يعطيها معناها وحدودها ، ويختم عليها سلوك سبيل معين يحدده الوعي العقائدي لهذا المنطلق ولعناصره التاريخية والاجتماعية والاقتصادية .

واذن فحتمية التطور النابعة من سنة الحياة تتلاقى مع طوعية الاتجاه النابعة من نوع الوعي الموضوعي الذي يحدده .

وهذا ما يجبرنا دائما وابدا على اعادة النظر في الاسس التي تقوم عليها الثورة وتوكيد النتائج التي وصل اليها الوعي العقائدي لايضاح علاقة كل خطوة بالثورة ومكانتها منها ، ولانراء الثورة بالكشف الواعي المستمر على تجاربها وابعاد الشوائب والاخلط عن التيار الصاعد حتى لا يحصل على الالتباس وتحل النكسة .

لذلك كله اود ان اطرح على نفسي ثلاثة أسئلة :

الاول : ما هو منطلق الثورة العربية ؟

الثاني : ما هي الميزات والسمات التي تكتسب منها طابعها وملامحها ؟

الثالث : كيف يصبح المنطلق مجالا ثوريا ، واساسا فكريا في مستوى

الرسالة ؟

ولسنا نظن ان هنالك اختلافا على ان الانسان العربي الذي نراه اليوم مناقلا وحائرا وممزقا ، هو منطلق الثورة ، وان ارادته في الحياة الحرة الكريمة هي التي تعطي التطور معناه وضرورته .

كما انني لا اعتقد ان هنالك اختلافا على ان الوعي الموضوعي لعناصر واقعة التاريخي والاجتماعي والاقتصادي هو الذي يحدد اتجاه الثورة وعمقها واصالتها ..

ولما كنا نعرف من الدراسة التاريخية البسيطة ان الانسان العربي معروف بانه قدر ثوري لمقدرته على التكيف السريع والابداع ، ونعرف ان الواقع الحاضر هو تراث قرون من الظلمة والحرمان والبؤس ، ناتج عن ازمة الفرد العربي بالذات ، فان علينا ان لا ننسى العلاقة الموضوعية بين هذه الازمة والواقع ...

ولذلك فان على الثورة ان تستمد خطوطها من الحقائق الاتية :

أ - الانسان العربي بما عرف عنه من حيوية وابداع وقدرته على التكيف السريع ، ومن تعلق فائق بالقيم والمثل وشعور بالغ بحقه في ان يكون كريما .

ب - الواقع العربي التاريخي الذي يحدد علاقة الفرد العربي بنفسه وبالآخرين وبالانسانية وبما نستطيع ان نجده في ذلك من امكانية للتفاعل تبلغ الذروة .

ج - الواقع العربي بما هو عليه الان متمثلا بازمة الفرد العربي المتفاعلة دائما وابدا مع التخلف الاجتماعي والسياسي والاقتصادي .. هذه الازمة

التي كان من نتيجتها وجود الاستعمار والتجزئة والفوضى الاجتماعية والعبودية ... وضياح عربستان واسكندرونه وفلسطين ...

د - ما احرزه العلم من التقدم في مجالات علم النفس والاجتماع والعلم التطبيقي ، وما يمكن ان يؤدي اليه هذا من ازدهار وتفتح اذا استغل استغلالا مفيدا .

هذا هو المجال العقائدي للثورة .

اما الاسس الثورية للعقيدة ، فانها ليست الا الفهم الواعي المسلح بالفكر الانقلابي ، والذي يعني العملية والعلمية والوضوح والثورية والشمول .. لهذه الاشياء ولللاقات القائمة بينها ...

وهي على هذا الاساس - وفي رأيي - لا يمكن الا ان تبدأ من الفرد العربي باعتباره الوحدة التي تمثل ما تحدثنا عنه اولا ، ولانه الخلية التي يعتمد على تفتحها وازدهارها .. وتفتح الحياة العربية وازدهارها .. ونتيجة لذلك نستطيع ان نقرر :

أ - ان انقلاب الفرد العربي على نفسه ، هو القدر الذي يحقق الثورة.

ب - ان القضية العربية (على اختلاف وجوها) واحدة لانها قضية امة واحدة من جهة ، ولانها تفاعل مستمر بين الواقع - الواقع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي - والفرد العربي يزيد من تعقد الازمة .

ج - ان الانقلاب مرتبط بالحلول الجذرية التي تعالج اسباب الازمة الذاتية والموضوعية .

وهذا يدفعنا الى الاعتقاد الجازم بان الانقلاب لا يمكن ان يتحقق الا طليعة منظمة واعية ، وان الوعي والتنظيم والثورية هي عناصر العقيدة ، وان على هذه العقيدة ان تضع تجسيمها العملي - ايمادتها وشعاراتها - المبرر عن الصورة الحية بتجربة النضال العربي ، وهذا بمعنى من المعاني هو معنى التحرر ...

فالتحرر اذن وكما نرى عملية انقلابية تبدأ بالفرد ، بانقلابه على نفسه ، وانقلابه على نفسه يعني مواجهته الثورية للواقع اوماجهة التي تتحقق كليا وبصراحة فائقة ، وهذه المواجهة التي تعني تجاوز لانسانية هذا الواقع لا يمكن الا ان تعني في الوقت نفسه التصور الكلي والثوري لقضية الشعب ، قضية جريته وحياته .

فالانقلاب هو بمعنى من المعاني العقيدة، والعقيدة هي النظرة الشاملة الواعية لمشكلة الوجود ، والنظرة الشاملة لمشكلة الوجود لا يمكن ان تجرع للشعب على مراحل (1)

(1) - اسطورة التحرر السياسي :

ومن هنا كانت الدعوة للتحرر السياسي خطيرة ، وجديرة بالبحث والاهتمام ، لا لانها محاولة لتبسيط القضية العربية فحسب ، ولا لانها محاولة هامشية ان كانت تستطيع ان تغير بعض جوانب المجتمع فانها لا تستطيع باية حال من الاحوال ان تغير الاسس التي يسير عليها ، لا لكل

ذلك فحسب ، بل لان التحرر السياسي يعني الثورة العاكسة ، يعني بوضوح التآمر على الثورة ...

« فالتحرر السياسي على الرغم من انه كان نهاية النضال بالنسبة لكثير من الامم في القرن التاسع عشر والقرن العشرين - وهذا ما يتخذه الاستاذ بدور دليلا على صحة رأيه (٢) - لا يعني المحاولة عرقلة الثورة العربية والحد من عنفوانها وتمزيق ثورتها »

« وعندما تجهض الثورة يكون التحرر السياسي » ..

وهذا يعني النزول بالمعركة من المستوى الايديولوجي الى مستوى الشعارات المرحلية و .. الاصلاح .

قال ماركس : « ان الثورة السياسية انما هي ثورة المجتمع البرجوازي » (٤٦) (المسألة اليهودية) . وهذه الثورة كما قال ايضا : « تفكك الحياة البرجوازية الى عناصرها دون ان تحدث الثورة في هذه العناصر نفسها وتخضعها للتفقد » (٤٩) وهي التي تعني (اكتمال مادية المجتمع البرجوازي باكتمال مثالية الدولة) (٤٨) وبالتالي (تحويل الانسان من جهة الى عضو من اعضاء المجتمع البرجوازي ، الى فرد اناني مستقل ومن جهة اخرى ، الى مواطن ، الى شخص معنوي) (٥٠) خاضع للانطواء على ذاته والعمل لمصلحته .. ولمصلحته فقط .

وهذه الثورة بينما تعمل على وحدة الاطار الخارجي للدولة تعمل في الوقت نفسه على زيادة التجزئة في الداخل لان العلاقة التي تقوم عليها ليست الا التطور الطبيعي لايدولوجية التمزق والضياع ، تلك التي تحمي انفصال الانسان عن الانسان واستقلال الانسان للانسان بواسطة القانون (٢) ومن هنا كان النزول بالمعركة من مستوى العقيدة الى مستوى الشعارات المرحلية ليس مهاندة للايديولوجية القديمة فحسب .. ولا هو محاولة للمحافظة عليها فقط .. انما هو بمثابة تمهدها ورعايتها لتنمو وتشتد وتمتد ..

فالتحرر - الشعار الذي وضع مقابل الحرية - عدا انه يعني من الناحية الفلسفية ما ذكرنا من السماح لايدولوجية التمزق والضياع بالنمو والامتداد والاشتداد ، يعني ايضا - وهذا ما يلمح به انصاره - دكتاتورية الفئة او الشخص الذي ترضى عنه الفئة ، الدكتاتورية التي تمهد لقيام المجتمع المنشود ، المجتمع الامثل ؟ ..

واي مجتمع امثل ... ؟

اي مجتمع امثل ذلك الذي ستبنيه حراب الدكتاتورية ؟ .. أرجو الا يستغرب شيء ، فهذه هي نتيجة التكهن الهجين التابع من تخبط بعض المثقفين في دوامة الازمة الذاتية الصاعقة واستعداد بعض البرجوازيين لتحقيق التفتح الملائم لامتداد جذور ايدولوجيتهم ، هذا التخبط الذي يتنافى مع التصور الكلي والثوري لقضية الشعب ، قضية حرته وحياته ..

ولسنا بحاجة للقول ان الدكتاتورية ليست الا الوسيلة التي تفرض بها فئة على فئة ، هذه النازية والفاشية في المانيا وايطاليا واسبانيا .. وبجانب هذا يجب الان نسي ان البرجوازية الناشئة في الوطن العربي تواجه الاستعمار وبقايا الاقطاعية من جهة ، والوعي الثوري الاشتراكي من جهة ثانية ، وهي لذلك بحاجة لدكتاتورية تقضي على الوعي الثوري والاستعمار والاقطاعية وهذه بعض وظيفة النازية والفاشية .

(٢) العروبة والمذاهب المعاصرة - الاداب عدد ٦ سنة ١٩٥٧

(٣) مبدأ الحرية الفردية القائل بعمل ما لا يضر بالآخرين والذي ينتج عنه كل ما يضر بالآخرين .. والنظام الرأسمالي مثل ذلك .

يفسر ذلك كله تفني هواة شعار التحرر بيسمارك واشتراكيته (٤) واعتبارهم التحرر غير الحرية ، وقولهم ان الحرية تعني الدعوة للانحلال وبالتالي فلا بد من العصا السحرية ، من الدكتاتورية ..

لا يسعنا هنا الا ان نقهقه ، الا ان نضرب الارض بأرجلنا ونصرخ فرحا : لقد عرف بعض المهويين طريق الخلاص ! .. انها الدكتاتورية ، ولن ابالغ فاقول دكتاتورية المرحلة او الدكتاتورية المبرمجة .. كما يقول علي بدور (الاداب - عدد ايلول سنة ١٩٥٧) اي الهروب من المعركة الحقيقية .

انهم يريدون ان نتجاهل عناصر التطور الايجابية ، ويدعوننا الى ذلك باسم الشعب والوحدة القومية وسياسة المراحل ، لتتحكم في النهاية فئة من المواطنين في رقاب الاكثرية ..

ولكننا لا يمكن ان ننسى ان الامتداد الطبيعي للدكتاتورية التي من هذا النوع ليس الاشتراكية وانما هو ذروة الرأسمالية ، لانها دكتاتورية البرجوازيين والمرضى من المثقفين .. التي لا يمكن الا ان تعيد التجزئية من جديد بشكل احد واكثر تعقيدا (٥)

وهذا هو التآمر على الثورة ..

انه ليس الا وضع حدود تعسفية لثورتها وتجاهلا للعناصر الاخلاقية فيها ، يجعلها لا تتعدى شعارات لا تحمل غير الدعوة للتغيير وحسب ... هذه الدعوة التي هي التعبير العملي عن الامتداد الطبيعي لايدولوجية التمزق والضياع .

فهم يريدون عملا سريعا يحقق الوحدة ، اي نوع من الوحدة ، ويحقق نوعا من الحرية يسمونه التحرر - اي اجلاء جيوش الاستعمار واقامة دولة عربية وطنية - ويعتبرون هذا مع القضاء على اسرائيل الخطوة التي تحقق الاطار الخارجي للمجتمع العربي .. اي الخلية التي تتوالد فيها البرجوازية ...

ولما كانوا لا يستطيعون بناء هذه القوقعة الا بالاستعانة بالشعب ، فقد حملوا شعاراته مجددا ، بعد ان مزقوها ، فهم اشتراكيون (والنضال السياسي ليس هدفا بحد ذاته الا بمقدار ما يضع الامة العربية في وسط تجربة نضالية تصل من خلالها الى وعي معنى المرحلة الثانية الذي فيه وحده يمكن بناء المضمون الاشتراكي - الديموقراطي الاجتماعي (٦) (١٧١) كما ان (الاشتراكية العربية انما تنبع من صميم بديهيات ومستلزمات الوجود القومي العربي وهي نتيجة طبيعية للفهم الواعي الاصيل لمستلزمات هذا الوجود والنظرة الاصيل المخلصة للحياة القومية والانسانية فهي تمثل موجة متقدمة من وعي الشعب المتزايد لشخصيته القومية ووعيه لاسس وبديهيات وجوده القومي ووحده القومية) (١٧٥) .

ثم يقول :

« وهنا ايضا نرى المشكلة السياسية تستند الى الفساد الاقتصادي والاجتماعي كما تعمل على تدعيمه » (١٦٤) .

ويقول :

(٤) من محاضرة للدكتور جورج طعمه اسمها (في المفهوم القومي) القيت في النادي العربي ببيروت .

(٥) التجزئة في الوطن العربي ليست اقليمية - انما هي ظاهرة تشمل القيم والمثل والاخلاق وتطبع كل مؤسسات هذا الواقع ... الذي ندعو للانقلاب عليه .. وكل انسجته الاجتماعية .

(٦) مع القومية العربية - اصدار اتحاد بعثات الكويت - وتأليف « القوميون العرب » دعاة المرحلية والتحرر السياسي .

« كانت التجزئة تثبت الاستعمار والاستعمار يثبت التجزئة والاثنان
يشتان فساد المجتمع العربي .. (١٠٥)

ولكنهم هم .. الذين يؤمنون بأن (الواقع وحدة حياتية مترابطة) (١٥٨)
ويقولون « منذ ان ابتدئ النضال العقائدي السياسي يكون قد ابتدأ
النضال الاجتماعي الاقتصادي لانه سيناضل: ضد كل من يقف في سبيل
الوحدة والتحرر والثار وهؤلاء كثيرون ، منهم الاستعمار واليهود ومنهم
الفئات النفعية والمصلحية التي تعيش على التجزئة » . (١٦٩)

وهم الذين يعتقدون « ان النضال القومي العربي هو العقيدة القومية
العربية في حيز النشاط التطبيقي .. ولا يمكن فصل العقيدة عن النضال
لان هذا الفصل سيوصلنا حتما اما الى ازدواجية في النضال واما الى نفاق
في العقيدة كما لا يمكن فصل العقيدة والنضال عن الاداة النضالية .
فالثورة التي تهدف العقيدة الى احداثها في المجتمع لا بد وان تكون
ثورة في نفس الفرد العربي اولا واذا لم تتحقق هذه الثورة في نفس
الفرد لن تتحقق في وسط المجتمع . وهذه العلاقة الوثيقة بين النضال
والعقيدة هي التي ستجعل الاسلوب جزءا من الغاية لا يتفصل عنها
فاذا انحرف الاسلوب لا بد وان تنحرف هذه الغاية ..) وهذه العلاقة
الوثيقة بين العقيدة والنضال والاداة النضالية هي التي ستجعل العقيدة
حياة يومية تتحقق وتتبلور من خلال التجربة العملية لليومية للأفراد الى
ان تتحقق وتصبح حياة الجماعة (١٥٧)

ان هؤلاء الذين يقولون كل ذلك ، يلخصون فهمهم لهذه التجربة بما
يلي - « ولكن الاستعمار من جهة واسرائيل من جهة ثانية والفئات
الحاكمة من جهة ثالثة سيقاومون هذا الاتجاه مقاومة عنيفة حادة ، ولذلك
لا بد من التخلص منهم قبل الاتجاه نحو اي نضال اقتصادي او اجتماعي ،
أي لا بد من التخلص من المشكلة السياسية لنتجه نحو المشكلة الاقتصادية
(١٦٥) .

وهنا يعود هؤلاء الى حلقتهم المفرغة ، ويحملون مطرفتهم الكبيرة ليضربوا
في الهواء ، لا في الصخرة .

انهم سيرفعون المطرقة في وجه شيخ يسمونه الاستعمار تاركين على
الارض الاستعمار بكل وحشيته وحرابه وقواعده ونواطيره ..

وما ذلك الا لانهم لا يعرفون كيف يواجهون قضية الشعب ، قضية
حريته وحياته. فالسياسة التي يريدون منها ان تحرك الجماهير وكلمات النضال
والعقيدة والتحرر والثار والمجتمع العربي الامثل .. اذا استطاعت ان تجمع
عددا من المثقفين والطيبيين والمثوريين .. لان فيها ما يرضي النفس السليمة
الخاملة والنفس المريضة الناقمة من دعوة التخلص من غبار العبودية ونداء
للالانتقام للكبرياء الطعين .. انها اذا استطاعت ان تفعل كل ذلك فانها
لا تستطيع باية حال من الاحوال ان تحرك الجماهير .. وان تضع الامة
امام الرجعية والاستعمار ..

ولقد اثبت التاريخ ذلك ..

وهي ايضا - كما يقول صدقي اسماعيل (لو استطاعت ان تثير الطبقة
الواعية في البلاد وتبعث في نفوسها حب النضال وتحسن تنظيمها
واعادها والاستفادة من قلقها على مصير امته وثقافة شعبها وتاريخها
باعبارها طليعة نيرة فان ميادين الكفاح السياسي عاجزة كل العجز عن
ان تنظم الشعب نفسه تنظيما سياسيا من هذا النوع) .

اقول عاجزة كل العجز عن أن تكون انقلابا جذريا شاملا وأن تكون
ثورة لانها تتجاهل الرابطة الثورية بين العقيدة والشعب ، وبين العقيدة
والنضال والاداة ، وتحاول ان تجعل الشعارات المرحلية منطلقا واساسا

بدل ان تكون الشعارات المرحلية تعبيرا عن موقف تواجهه الثورة وهكذا
تصبح الوسيلة غير الغاية بل ومناقضة لها (٧) .

وهكذا تكون العقائدية الخيط السحري الذي يجمع ما لا يمكن أن
يجمع .. والاطار الواهي الذي يريدون منه كل شيء وهم لم يضعوا
فيه شيئا .. فهم اشتراكيون ولكنهم لا يدعون للاشتراكية لا لشيء
الا لان هنالك فئات وقوى تعارض هذا الاتجاه وترفضه ، هذه الفئات
والقوى التي ترفض التحرر ..

ولكن لماذا لا يتنازلون عن الدعوة للتحرر ؟

انه لسؤال سخيف .. وسخيف جدا ولكنه ضروري .

فما معنى العقائدية العلمية الشعبية والايجابية ..؟ وما معنى ان
نقول (لا يمكن ان نحقق هذا الهدف (اي الانقلاب الثوري) الا بالنضال
الثوري والروحانية الثورية والمفاهيم الثورية . النضال الثوري العقائدي
العلمي الايجابي الاصيل الذي يدفع الفرد العربي لان يقف من مشاكل
وجوده القائمة موقفا مشبعا بالحركة والشعور بالمسؤولية والروحانية
الايجابية العلمية الهادفة (٨). ما معنى ان نقول هذا اذن اذا دعونا للتنازل
عن الدعوة الاشتراكية ..؟ وما معنى هذا اذا جعلنا همنا الوحيد .. افناع
الجماهير بعدم جدوى الدعوة للاشتراكية في هذه المرحلة ؟

أليس هذا تجاهلا لمعنى الثورة ..؟ أليس تجاهلا للتصور الكلي والثوري
لقضية الشعب ، قضية حريته وحياته ؟

اننا عندما لا نعطي النضال هذه الصفة تكون قد ابتعدنا به عن
العقائدية .

(ب) الثورة .. والمراحل

فالثورة شيء واحد ، عمل متكامل متفاعل ويجب ان تحمل كل خطوة
منها ملامح الخطوة التالية وتفصح كل كلمة من كلماتها وكل شعار من
شعاراتها عن اعماق ما فيها .

قال ميشيل عفلق :

« ولعل اهم فائدة للنظرة الشاملة انها تعي مراحل النضال فتكون
هكذا قيمة كل مرحلة غير قائمة بذاتها بل بنسبة موضعها من طريق
النضال الكاملة وبالنسبة للمراحل التي تليها وتعطيها معناها الحقيقي (٩).
هذا على الرغم من البعد الزمني والمكاني الذي قد يفصل كل خطوة
عن الاخرى .

واذا جاز لنا من قبيل التحليل ان نقول : الثورة القومية ، والثورة
الديموقراطية كما فعل ماو تسي تونج في كتابه « الثورة الصينية » ، فلا
يجوز لنا ان نفهم من ذلك ان كلا منهما ثورة قائمة بذاتها ، وان العمل
للأولى يعني بالضرورة اهمالنا للثانية وتجاهلها .

ان الثورة لا يمكن ان تخضع لمثل هذا التقسيم من الناحية العقائدية
فاذا خضعت كان الزيف وانهار البنيان العقائدي .

قال ماو تسي تونج : « لما كانت المهمة الحاضرة للثورة الوطنية
(القومية) في الصين بصورة رئيسية النضال ضد اجتياح الاستعمار
الياباني وكان من الواجب ان نسير بالثورة الديموقراطية سيرا ناجحا في
سبيل كسب الحرب من جهة اخرى فان هاتين المهمتين مترابطتان .. ان
التصور الذي تكون بحسبه الثورة الوطنية الديموقراطية مرحلتين
متميزتين هو تصور خاطيء » (٣٢) (١٠)

وقال جمال عبد الناصر في كتابه فلسفة الثورة : « ويوم سرنا في طريق الثورة السياسية فخلعنا فاروق عن عرشه سرنا خطوة مماثلة في طريق الثورة الاجتماعية فقررنا تحديد الملكية » .
ثم قال : « وما زلت اعتقد أنه ينبغي أن تظل ثورة ٢٣ يوليو محتفظة بقدرتها على الحركة السريعة والمبادأة لكي تستطيع ان تحقق معجزة السير في ثورتين في وقت واحد معا .. مهما بدا في بعض الاحيان من التناقض في تصرفاتنا » . (٢٨)

وقال نهر : « وقد ادى نمو الحركة الوطنية بزعامة المؤتمر الى انضمام جماهير الفلاحين ونظرهم اليه كمنقذ لهم من اعبائهم الثقيلة وقد قوى ذلك المؤتمر وأضيفت اليه الصبغة الشعبية ، ومع ان زعامة المؤتمر ظلت في يد الطبقة الوسطى الا ان الضغط من الاسفل اشتد حتى أصبحت المشاكل الزراعية والاجتماعية تسنأثر بقسم كبير من نشاط المؤتمر . وظهر ميل نحو الاشتراكية عندما اصدر المؤتمر العقود في كراتشي عام ١٩٣١ قرارا هاما حول الحقوق الاساسية والبرامج الاقتصادية . وقد نادى هذا القرار بأن ينص الدستور على ضمانات الحقوق الديموقراطية الاساسية والحريات وحقوق الاقليات ودعا الى اعطاء الدولة حق السيطرة على الصناعات الاساسية وهكذا أصبح الكفاح من اجل الاستقلال يتعدى مجرد نيل الحرية السياسية الى نيل نظام اجتماعي اشتراكي وصار الموضوع الاساسي القضاء على الظلم واستغلال الجماهير . اما الاستقلال فهو وسيلة لذلك » . (١١)

فما من مبرر اذن للتنازل عن الدعوة للاشتراكية ، وما من معنى للتنازل عن الدعوة للحرية ، كما انه ما من معنى لاعطاء الوحدة هذا الطابع الضيق الخانق ..

ج) التنازل عن الدعوة للاشتراكية :

فالتنازل عن الاشتراكية لان الفئات الرجعية والنفعية تقاومنا ، سطحية تبرر نفسها بالفكر وهذا مناف لعقائدية النضال .

والتنازل عن الدعوة للاشتراكية خوفا من الصراع داخل جدران المجتمع وزواياه ، لا يعني الا اننا لا نريد ان نظور المجتمع من جهة واننا اعجز من ان نواجه الرجعية بما هو معنى عقيدتنا وكفاحنا والمظهر العملي لهما ، واننا لسنا من مستوى الثورة لاننا لا نفهم عناصرها .

كما ان التنازل عن الدعوة للاشتراكية ارضاء للاقطاعية والرأسمالية حتى ترفع علم الثورة ليس الا محاولة فاشلة لجمع الماء في الفربال .. وقد قال نهر في حديثه عن انشقاق الكومنتانج « انه لمن الصعب جدا ان يجتمع فريقان لهما مصالح متعارضة في منظمة واحدة » (٣٥٨) . اقول حتى ولو كان هنالك خطر مشترك .

والذين يدعون للتنازل عن الدعوة للاشتراكية لانها نظام اقتصادي يحث ما زال بعيد التحقيق وما زال الجو العربي غير مهيأ له .

والذين يدعون لذلك لاننا نخوض معركة اخرى هي معركة الوحدة او التحرر - هؤلاء .. وهؤلاء يحتاجون الى انعام النظر في المعركة، معركتنا وبعناصرها وفي الاسس التي وضعوها لمواجهة المشكلة لانها ليست من مستواها ..

« فصيافة الاهداف الثورية والتي تشكل عنصرا اساسيا في عملية النهضة اذ بها يتحدد بالضبط التفسير الذي يتطلبه الانتقال من الوضع المتأخر الى الوضع السليم » (١٢) يتطلب الوعي الذي من مستوى المعركة والمعرفة التي تجعل الثورة ليس مجرد نية طيبة لفرض بعض الشعارات . وانما عملية انسانية تحقق بواسطتها الجماهير المعجزات .

ولذلك كان لا بد من العلمية والعملية والوضوح (فالجماهير التي لا تجد غير الثورة طريقا للتعبير عن انسانيتها .. لا تقبل الغموض ولا ترضى بأسلوب الافلاطونيين الذين لا يعرفون غير كلمات الوحدة والكرامة والتحرر والعروبة والنضال)

ولا بد من الاشتراكية لاعطاء الثورة الصفة العقائدية والعلمية .
والاشتراكية هنا كما يقول ميشيل عفلق هي دين الحياة .. وظهرت الحياة على الموت .. وكما يقول منيف الرزاز « هي مذهب للحياة ومذهب للفهم . فان تكون اشتراكية لا يعني بالضرورة ان تعيش في ظل نظام اشتراكي وانما ان تكون اشتراكية يعني بالضرورة ان تفهم الحياة وان تعمل في الحياة وان تكافح في الحياة فهما وعملا وكفاحا واشتراكية » .
بهذا المعنى تصبح الاشتراكية اذن كلمة لا تقتصر على التعبير عن حال اقتصادية معينة فحسب بل هي تعبير عن نوع من الحياة بأكمله بجميع وجوهه .. والاشتراكية بهذا المعنى ليست وضعا اقتصاديا معيناً وليست سعياً في سبيل وضع اقتصادي معين فحسب بل هي فهم اشتراكي لكل نواحي الحياة . وحين اقول اني اشتراكي فقد عينت موقفي لا من العلاقات الاقتصادية التي اعيش خلالها فحسب ، بل لقد عينت موقفي من جميع نواحي الحياة التي تلامسني والامسها » .
« وسبب هذا ان الحياة نفسها شيء واحد » .

ثم يقول الرزاز : « واذا آمننا بالانسان ايماناً عميقاً فلا بد ان نمنحه ما يستحق بالاشتراكية وان نأخذ منه ما يتمكن ان يمنح بالحرية ... كل هذا في حدود تجربته التاريخية والقومية .

وعلى هذا « فالاشتراكية والوحدة والحرية ليست اسما مختلفة لاشياء مختلفة ثم جمعها صدفة وبمجرد لمحة عابرة وانما هي اوجه مختلفة لشيء واحد اساسي تنبع منه جميعا وتنبثق انبثاقا .. واذا كانت الاشتراكية تمثل ناحيته الاقتصادية في الاساس والحرية تمثل ناحيته السياسية في الاساس والوحدة تمثل ناحيته القومية في الاساس فهذه جميعا ليست الا نواحي مختلفة لشيء واحد وهذا الشيء الواحد الذي تنبع منه جميعا هو احترام قيمة الانسان » . (١٣)

وهكذا تعطي للمعركة مميزات وسمات المنطلق ..
وهكذا يكون المنطلق مجالا ثوريا وأساسا فكريا من مستوى المعركة ، ومن مستوى الرسالة .

وهكذا ايضا تتحدد علاقة الانسان بالمعركة .
وعلى هذا الاساس يكون الالتقاء القومي بمثابة اعطاء الثورة مجالا أوسع تتحقق من خلاله ، دون التنازل عن عقائديتها وثورتها .. (ودراسة تطور ثورتي الصين والهند كقيل بآيات ذلك) .

وعلى هذا الاساس وعليه وحده تكون سياسة المراحل عملا ثوريا عقائديا . وبدون ذلك ، أي بدون الاحساس الخلاق والتفاعل الاصيل بين الثورة والعقيدة والشعارات ، لن تكون ثورة ، ولن تكون عقيدة .

وبدون انبثاق الشعارات المرهقة انبثاقا اصيلا من الاستراتيجية لن يكون هنالك نضال .

فالعقيدة التي تعني التصور الكلي والثوري لقضية الشعب ، قضية حرته وحياته ..

والشعارات التي تعني التطور العملي للثورة ، باجتياز مواقف نضالية ومواجهة قضايا ثورية من خلال هذا التصور .
هذه كلها تعني الثورة ، الثورة الخلاقة المنتجة .

ناجي علوش

الكويت

-
- (٧) محمد علي القابسي - صفحة من نضال العرب الحديث صفحة (٢٧)
(٨) مع القومية العربية صفحة (١٥٦)
(٩) افتتاحية جريدة البعث (نحو وعي عربي انقلابي)
(١٠) الثورة الصينية
(١١) لمحات من تاريخ العالم (٢٨٣)
(١٢) الواقعية والفكر العربي المعاصر - الاداب عدد ٣ سنة ١٩٥٧ بقلم سعدون حمادي
(١٣) من محاضرة مطبوعة للدكتور الرزاز بعنوان (لماذا الاشتراكية الان) .